قرأت العدد الماضي من الآداب

الأبحاث

بقلم مطاع صفدي

***

ان مجلة ادبية فكرية ((كالاداب)) ، عندما تصدر عددا ممتازا عن فلسطين ، فانما تعد القارىء بان تمده ـ طبعا ـ بابحاث عن النكبة ، كما وعتها ثقافة الخمسة عشر عاما الماضية . ولو اننا تخيلنا تقسيما منطقيا للابحاث ، كما تفعل ((الاداب)) في اعدادها الممتازة السابقة ، لكنا عثرنا على دراسات عن اثر النكبة في الشعر ، في القصة ، في المعاناة الادبية .. الخ. من فنون الكتابة .

ولكن الامر مختلف جدا مع هذا العدد الممتاز . فانك لن تقع على مقالات او دراسات ، تتصدى لمثل هذه الموضوعات التي يوحي بها عنوان العدد . فهناك بالاحرى بعض القصص والقصائد ، التي تابعت جو التأثر المعتاد ، بالنكبة . بينما اقتصرت المقالات القليلة المبعثرة بين دفتي العدد على معالجة بعض زوايا من قضية فلسطين ، بروح صحفية او دعاوية خالصة ، وهي اقرب الى العرض السياسي اليومي .

فهل نقول ان السبب في فقر عدد (فلسطين) من الابحاث الحقيقية ، هو ايضا جزء من مشكلة الكتابة لدى ادبائنا ومفكرينا ، المشكلة التي طرحت للاستفتاء في مطلع العدد الممتاز . وهل نقول كذلك ، ان جزءا من مسؤولية هذا السبب يقع على عاتقالمجلةنفسها؟..

وعلى كل حال فان الكتابة عن ادب النكبة وفكر النكبة ، يبدو لكثير من الذين اعتادوا ان يكتبوا على صفحات المجلات ، اشبه بامر يناقض طبيعة السرعة والنزق والفورة اليومية التي يأخذ كاتب العصر نفسه بها . فليس من السهل ان يحاول ناقد للشعر ، ناقد للقصة ، محلل للفكر ، ان يرجع القهقرى خمسة عشر عاما ـ وان كانت مدة ليست بالطويلة ـ لينقب هنا وهناك عن نماذج من ثقافة النكبة ليدرسها ، ويقدم للقارىء موضوعا شافيا عنها .

ان ذلك الجهد الدراسي اصبح غريبا اليوم على كثير من الكتاب الشباب ، الذين يفضلون التعبير عن احاسيسهم الحاضرة ، بنزوات من الكلمات يسمونها قصة او شعرا ، ويتخلصون منها ما ان يلقوها الى صفحة بيضاء في مجلة ما . ثم اذا ما جذبت مسؤولية الجهد بعض هؤلاء الى الدراسة الجادة ، فانهم سرعان ما يعرضون عن الموضوع ، شعورا منهم سلفا بتفاهة الانتاج الذي تصدى للتعبير عن ثقافة النكبة .

والحق ، كما قلت في جوابي على الاستفتاء ، ان كثيرا من ذلك الانتاج تمخضت عنه بعض الاقلام ، بعيدا عن قاموس النكبة المباشر. فاذا ما طلبنا رؤيا انسانية او ماورائية للنكبة في القصة ، فقد نعثر عليها ، ظلية او اقرب الى الظل ، في اثار ليس لها عناوين النكبة نفسها . واذا بحثنا عن مشروع معاناة وجدانية للمأساة الفلسطينية في الشعر ، فقد نلقاها في نوازع مأساوية مطلقة لدى بعض كبار الشعراء في المرحلة الماضية . واما ان الفكر القومي قد تأثر بالنكبة، فهذا مما لا شك فيه . بل ان تأثره ابلغ في هذا الميدان ، من ايتأثر اخر . واما ان الواقع القومي نفسه ـ وتلك هي الدائرة الاوسع والمطلوبة ـ قد انفعل سلبا وايجابا مع تحريض النكبة ، فهذا ايضا ما تشهد عليه تجربة الثورة الشاملة ، والثورات المضادة ، التيبعثت عليها في اقطارنا العربية المختلفة .

حتى انك لا تستطيع ان تعتبر اثرا للنكبة في الثقافة ، كل ما لم يجاوز دائرة الصدى للصرخة الاولى . واذا ما قبعت الثقافة عند حدود الاصداء لوقائع امنها ، فلن تكون وجدانا حضاريا باعثا على حياة اخرى ، غير حياة الصدفة التاريخية الخالصة .

والمسألة في الواقع هي : هل خلقت النكبة المعاناة ، وهلارتفعت هذه المعاناة الى مستوى تكون الوجدان المأساوي لدى انساننا وحضارتنا . ثم هل جاء الادب والفكر ، من جملة ادوات التعبير عن هذا الوجدان المأساوي ، فكان لهما دورهما المطلوب ؟ كل ذلك مما يصح اساسا اصيلا لدراسة اصيلة .

فالكتاب الذين تصدوا للجواب على الاستفتاء في مطلع العدد الممتاز ، كانت هناك خطوط اساسية واحدة تقريبا في اجوبتهم جميعا، وان اختلفت التعابير واساليب هذه التعابير عن الملاحظات الواحدة المتشابهة . فهم متفقون على ان ادب ما بعد النكبة لم يرتفع الى مستوى النكبة . وهو تسليم مباشر يتفق مع ايحاء السؤال في الاستفتاء . السؤال الذي ينطلق من حقيقة التفاوت بين فداحة النكبة واثرها المتواضع في الادب العربي . ولقد اعتبر الكتاب هذه الحقيقة بمثابة بديهية . وراح كل منهم يبحث عن الاسباب . ولكن مع ذلك فان هؤلاء الكتاب قد لحظوا جميعا ان هناك اختلافا نوعيا بين ادب ما قبل وما بعد النكبة . ورأى الدكتور سهيل ادريس ان ((الكارثة الفلسطينية قد خلقت في نتاجنا الادبي الحديث ، فترة انتقال لها سماتها الخاصة ، واهمها تعبير عن القلق والضياع)). ولكن هذه السمات لم تنضج بعد ، بسبب ان الجيل الجديد الذي يعانيها هو نفسه ما زال حديث السن ، وما يزال يتابع تخمر تجربته تلك .

وكان الدكتور سهيل قد ارجع سبب الضعف في ادب ما بعد النكبة الى ((ان النكبة لم تنته بعد)) ، و ((أن ما تخلفه من احداث، على الصعد السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، لا يزال منالحيوية والحداثة المباشرة ، بحيث يمتنع على النضج الفني ، والاستبطان العميق)) . ومن جهة ثانية فان اثار النكبة لم تستقر في النفس العربية بعد ، لان الترقب والامل بمحو عار النكبة ، يجعل الادب لا يلامس الا السطوح دون الاعماق ، والا فانه ينبغي اما ان تثبت النكبة باثارها من تشريد وتمزيق ، واما ان تمحي بعارها نهائيا .. وعندئذ ربما خرج الادب العظيم المرجو .

ولا شك ، انك ان مررت بهذه الاراء سريعا، فلن يستوقفك فيها شيء مفاجيء او غير عادي . ولكنك عندما ترى الاخ غسان كنفاني يلح الحاحا متناميا مع سياق حديثه على الطابع الموقت لمعاناة النكبة ، وعلى ((جو التوقعية)) ـ على حد تعبيره ـ ، فسوف تقع على نبرة فكرية خاصة نستحق التأمل في لوحة تحليل هذه المشكلة المطروحة على بساط البحث . وهذا ما سأناقشه في حينه . ولكن قد يظل القارىء متوقفا عند (الاحراج) الذي حصر فيه الدكتور سهيل المشكلة ، عندما قال ((فينبغي لهذه الكارثة ، لكي تكون موضوعا كبيرا ناجزا ، ان تنتهي اما بتثبيت النكبة ، وما يستتبعه ذلك من تشريد

وتمزيق ، واما بمحوها نهائيا . » والحق ان هذا الاختيار الذي يضع الدكتور سهيل التاريخ بين قوسيه ـ كما يقول الفلاسفة ـ اما تثبيت النكبة ، او محوها ، كشرط للاستقرار امام المصيبة او امام زوال المصيبة ، امر قد لا تقره بسهولةفلسفة الابداع في المنطق الحضاري. فليس المهم ان يكون الحدث التاريخي اما انه موجود ومستمر كله ، او انه منعدم وزائل كله . ذلك تجريد هندسي لمنطق السيالة التاريخية ، الذي لا يعرف الاستقرار الا انه نمو وتناقض حيمتواصل. والادب كذلك ، ليس شرطه ان يتحدث عما هو مستقر او ثابت . بل ان عدم استقرار النكبة على وجود او على زوال ، هو نفسه دليل دورها الحيوي الكبير في تفجير امكانيات الوجود العربي ان سلبا او ايجابا . هذا اذا لم نعترف حتى الان ان النكبة ، باعتبارها ذلك الحدث التاريخي الفاصل ، قد وجدت فعلا . واما ما سيتطور عنها فذلك ايضا شيء اخر ، له وجوده الاخر .

واراني قد اتفقت ايضا مع الاستاذ منير البعلبكي ، عندما لم يهمل او يتشاءم من النتائج الادبية للنكبة عندما قال « يخيل الي ان نكبة العرب في فلسطين ، كان لها في ادبنا المعاصر اثر اكبر مما نتصور ، او مما نحب ان نتصور ، في بعض الاحيان » . وللتدليل على هذا الرأي يلجأ الاستاذ البعلبكي الى برهان مباشر ، فيشير الى القصة والشعر والدراسات التي حاولت ان تعي النكبة وتنفعل بها . ثم يتحفظ هو الاخر عن ان يجد اثرا ادبيا عن فلسطين يكتبله الخلود. هذا مع تأكيده على وجود (عرق) تقدمي « يتناسج مع بنية الشعر العربي المعاصر والقصة العربية المعاصرة تناسجا يكاد يكون عضويا . ان هذا (العرق) وليد النكبة الفلسطينية من غير ريب . »

وكان جواب الدكتور احسان عباس يسعى الى ان يلم باكثر من خط من خطوط المشكلة . فاورد في مطلع حديثه ملاحظة اساسية عن معنى التغير او التحول الذي احدثته النكبة في نوعية الادب . فقال « ان النكبة عملت في الميدان الادبي بطريق غير مباشر ، فنفت اشياء كثيرة كانت رائجة في الجو الادبي ، كالامعان في الذاتية والانسياق وراء ادب المتعة ، وابرزت الحاجة الى ادب مرتبط بواقعنا الاجتماعي، ومهدت لظهور قيم ادبية جديدة . » ولعمري ان ذلك هو من اكبر افضال النكبة على الادب . فلقد كان شبه اعجاز ان يعود الادب الى معين حياته الاول ، كما كان ادب اسلافنا الجاهليين خاصة . ومع ذلك فان ذلك الادب الذي انفجر اثر النكبة لم يبرح عادات التفجع والندب التي اعتادها الشعر المنفعل بالصدى . كما ان افتقار الاديب الى الحس الشمولي والارتفاع الى مستوى المصير الواحد ، والابتعاد عن اية ذاتية اقليمية او حزبية ، كل ذلك مما عوق نضوج هذا الادب المطلوب .

واما الاخ غسان كنفاني ، فقد اتى جوابه ليشمل ابعاد مقال مطول . وله بعض الحق في ذلك ، لولا ان طبيعة الاستفتاء تطلب الاختصار مع الابراز لمفاصل المشكلة . ولكن غسان ، وهو واحد من الذين يسعون الى معاناة النكبة ثقافيا بعد معاناتها عضويا وماديا ، لا يستطيع ان يمر بهذا الاستفتاء عابرا .

وينطلق غسان من بديهية تاريخية واجتماعية ، تربط حركة الفكر بحركة الاحداث السياسية والاجتماعية من حولها صعودا او هبوطا . وهو يرى ان انتكاس ادب النكبة راجع لانتكاس الاحداث السياسية والاجتماعية المرتبط بها . بل اكثر من ذلك فان مختلف الصعد الاجتماعيةمن سياسية وغيرها متخلفة ايضا عن اللحاق بمستوى الفاجعة ذاتها . وبالرغم انه من الصعب على القارىء ان يستريح لهذا التعميم الذي اطلقه غسان ، فانه يستطيع على الاقل ان يوافق على النبرة دون مضمونها . اي انه قد يشعر بان معطيات الاحداث الضخمة التي تلت حدث النكبة ، هي ايضا لم تعط ثمرتها المطلوبة بعد . ولكن اي مؤرخ حضاري ، لن يحتاج الى بعد زماني طويل ، كي يلحظ بسهولة كبيرة ، كيف ان اثارة النكبة للوجود العربي ، كانت اثارة من العمق والشمول بحيث تصح منطلقا تاريخيا جديدا للامة العربية ، ولمختلف ظروف تناقضاتها الحية المستجدة .

ثم يسعى غسان الى التفصيل في شروط ايجابية وسلبية اخرى احاطت بعملية تولد الاثر الادبي الكبير المنتظر . وقد يلح خاصة على (الجو الموقت) او (جو التوقعة) الذي رافق احساس الادباء الشباب باستمرار ، فجعلهم يعيشون ضمن اطار المعركة لا خارجها ، واعطاهم ذلك انفعالا مشبوبا ، يتناسب مع توقعات المعركة نفسها . ولست اشك ان التوقعة هذه قد تعرقل عملية الكشف العقلي والموضوعي المتكامل لابعاد المأساة ، والعلو بها الى نموذج انساني دائم الايحاء . ولكننا لو تذكرنا ان انساننا العربي كان يعاني من حاجة شمولية الى اكتشاف ينابيع اصالته ذاته ، وانه كان دائما منذ النكبة، امام انعطاف تاريخي لكي يغير من وجوده تغييرا نوعيا جذريا ، لو تذكرنا ان الاديب بالتالي ، كانت مهمته ايضا ان يرود هذه الينابيع لوجود الانسان العربي الجديد ، ان يكتشفه ويكتشف معه ادواته الحضارية الجديدة ، لعلمنا ان اصل المشكلة كلها كانت عبارة عن بحث عنالاصل. وهكذا فانه كلما ارتفعت شدة التوتر عند اديب رائد بهذه الحاجة، لس هذا الوجدان المأساوي الشامل الذي يخلق الآثار الباقية ذات القيمة الانسانية الباقية كذلك .

واما ان غياب الاثر الادبي الكبير كان منوطا ايضا بغياب العمل السياسي الكبير ، فذلك هو من باب ربط الفرع بالفرع ايضا . ولو تساءلنا عن سبب غياب العمل السياسي الكبير ، لقيل لنا مثلا انه انعدام الوعي ، او انه سبب اقتصادي او قومي وهكذا نعود الى حلقة مفرغة .

ان البحث عن الاصول ، او هذه الحاجة الى ايجاد الخليةالاولى للوجود الجديد المقترح ، هو او هيا لتوقعة الاشمل التي تهز بعض الوجدانات الطليعية من الامم ذات الفواصل الحاسمة من تاريخها . ولا ادل على ذلك من ان امتنا العربية تبذر اليوم ، وخلال عشر سنوات فقط ، اكثر البذور اصالة في تربة حضارتها المستقبلة . لقد عشنا

بعد دراسات وابحاث استغرقت عدة سنوات ، تمكن علماء الكيمياء

من اكتشاف :

DUO SUISSE

الدواء العجيب الذي يزيل قشرة الرأس والحكاك

وبعض تساقط الشعر

مختبرات ديو سويس ـ سويسرا

الوكلاء العامون والموزعون

منيمنة ـ شارع البرلمان ، بيروت

في هذه الفترة من التطلعات ذات الجدوى الواقعية والثورية فيحقول حياتنا ، ما لم نعشه خلال الف سنة على الاقل . ولكن طموحناالمتوقع للاكثر وللاكبر والاعظم يجعلنا نستهين احيانا بمنجزات النكبة سواء نحو الافجع او نحو الاروع .

وان البحث عن الاصل او الينبوع سوف يتبعه بحث عنالاسلوب او المجرى . واذ نحن نحاول ادبا جديدا خالصا يوازي زخم توجساتنا ومثلنا وقضايانا ، فاننا لا بد ان نشيه طويلا ، قبل ان نجد قلمنا وحبرنا وورقنا المصنوع من دمنا وحده . فليس عصرنا اليوم هو استمرار طبيعي لما سبقه . انه خلق من العدم . وكذلك تأثرنا .كذلك ادبنا وفكرنا .

ويتناول اخيرا الدكتور محمد يوسف نجم هذا الاستفتاء بنظرة تاريخية ناقدة ، فيدلل على خصب هذه الفترة اللاحقة بالنكبة ، ويستعرض اسماء الشعراء والكتاب ، كما يبرز الاختلاف النوعي لادب النكبة . ويظهر معالم جيل كامل من الكتاب ، يشبه جيل ما بعد الحرب الثانية في اوروبا . وقد كان اشار الى اهمية هذه الصلة القوية بين جيل النكبة وبين معاني الاحداث القومية ، بينما انعدمت او هزلت هذه الصلة لدى جيل ما بعد الحرب الاولى واحداثهالثورية المختلفة .ولكن الدكتور نجم يأتي بهذا الحكم المتفق عليه مع كل من اشترك في هذا الاستفتاء ، بان ادب النكبة (رخص العود ناعم الاظافر) . ولعله يريد من ذلك انه ادب شاب اكثر منه ادب ضعيف. والاد بالشاب ، ينتظر منه النضوج والتكامل .

واذا اتينا الان الى الابحاث في العدد الممتاز ، بعد ان وقفنا وقفة طويلة نسبيا عند اجوبة الاستفتاء لاهميتها والتصاقها بموضوع العدد اكثر من غيرها ، لوجدنا اننا امام نوعين من هذه الابحاث ، بعضها كان سياسيا عسكريا ، وبعضها كان ادبيا . والنوع الاولاغزر واشمل ، واما النوع الثاني فقليل وعابر سريع . ولعل من اهم ابحاث النوع الاول ، الدراسة العسكرية الواقية التي قدمها احد الدبلوماسيين والعسكريين السابقين ، وهو الاستاذ هيثم كيلاني . وبالرغم من انني اقرأ له لاول مرة ، الا ان موضوعه ، الذي هو نتيجة اختصاص ، يبدو انه متكامل رصين . ولست اعتقد انني مستطيع تقدير تفاصيل هذا البحث الاختصاصي ، ولكنني مع هذا اشعر باهمية هذه الدراسة ، والاضواء التي تلقيها مشكلة اسرائيل بصورة واقعية مباشرة . وحبذا لو ان عددا من الاختصاصيين فاموا بدراسات مفصلة تستند الى البحث والاستقصاء العلمي عن مختلف وجوه الحياة في اسرائيل . اذن لكان لنا ذخر من المعرفة المتكاملة عن اكبر سرطان ينهش من جانب الجسد العربي المائج بالثورة .

والحقيقة التي يخرج منها قارىء هذا المقال العلمي هي ان اسرائيل بقدر ما تمتلك من وجود هزيل بشريا وجغرافيا واقتصاديا وعسكريا ، بقدر ما تسعى الى تدعيم هذا الوجود بشتى امكانيات الدولة الحديثة القائمة على دافع الخوف المستمر من الزوال ، بتحويله الى ازالة الاخرين . وان العرب بالمقابل بقدر ما يملكون من وجود ضخم نسبة الى اسرائيل ، بقدر ما هم ضائعون مضيعون بالنسبة لكشف امكانيات هذا الوجود ، وتحويله الى ازالة اسرائيل نفسها .

فاسرائيل ذات الارض المغتصبة ، والامكانيات المستعارة من خارج، لا يمكن ان تدافع عن نفسها ضمن حدود هذه الارض . ولذلك فان دفاعها هو عدوان على ارض جيرانها ، وحربها ينبغي ان تفتح ساحاتها وراء حدود الدول العربية نفسها ، كما حاولت ان تفعل ابان العدوان الثلاثي . وطبيعة هذه الحرب قائمة على المفاجأة والتحرك السريع والغدر . بينما اذا حوصرت اسرائيل ضمن ارضها ، فانها لن تصمد طويلا امام المدفعية والطيران ، ثم تكتسحها المشاة من كل حدب وصوب. فالحرب اذن واقعة لا محالة بين العرب واسرائيل . واذا تناسى العرب هذه الحقيقة ، فان اسرائيل لن تنساها لحظة واحدة من حياتها القصيرة على هذه الارض . واما توقيت هذه الحرب الذي ارتبط بمشكلة تحويل مجرى الاردن ، وكيفية هذه الحرب ، فذلك ما يؤلف الموضوع السياسي الاول اليوم ، وفي هذه الفترة الجديدة من التوقع بعد مؤتمر القمة .

ويستوقف القارىء للعدد الممتاز ذلك المقال المطول الذي كتبه الاخ صلاح عيسى ، تحت عنوان (في اصول المسألة الفلسطينية) . والمقال محاولة مستفيضة لتطبيق بعض الاطارات الماركسية العريضة والكلاسيكية على المسألة الفلسطينية ، في نطاقاتها الثلاثة ، العالمية الاستعمارية ، والقومية ، والمحلية داخلفلسطين .

ان مقال صلاح عيسى ، يثير كثيرا من المشكلات والتساؤلات التي لا يخلو بعضها من طابع المفاجأة والابهام العلمي . ومن الصعب في هذه العجالة ان يتصدى الناقد لجميع تلك المشكلات ويناقشها . الا انه لا بد من الاشارة الى اخطرها .

ان جيلنا العربي ما زال يذكر سلسلة المواقف الماركسية او الشيوعية السياسية في بلادنا من قضايانا القومية والحيوية الاولىابتداء من مرحلة التحرر من الاستعمار المباشر ، وكان للشيوعية حينها تخرصات غريبة باسم الصراع الطبقي والامبريالية العالمية ، فتحالف مثلا الحزب الشيوعي السوري اللبناني مع الحزب الشيوعي الفرنسي، وقاوم حركة التحرر من الاحتلال الاجنبي ، حتى وصل به الامر الى استنكار الجلاء. وكان لهذه الشيوعية المحلية ايضا موقف غريب من معالجة الحرب الفلسطينية بين عام ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ وما بعدهما . اذ استنكرت هذه الحرب علنا بتخريجات نظرية ماركسية تصدم الوجدان الوطني . ثم قاومت الشيوعية ايضا اول انتصار قومي لحركة التحرر العربية في تحقيق الوحدة ، واستماتت لاجهاضها ابتداء من سوريا الى العراق(١)، وعززت بعد ذلك الانفعال الرجعي ، وما تزال تواصل جهودها لعرقلة كل عمل وحدوي في سوريا .

ونحن مع ايماننا ان هناك فروقا جوهرية بين المواقف السياسية للاحزاب الشيوعية ، وخاصة الاحزاب هذه في البلاد المتخلفة الواقعة ضمن مناطق النفوذ الاستعمارية ، وبين الفكر الماركسي ومدارسه المختلفة المعاصرة ، فانه قد ثبت في فكرنا السياسي القومي ، انه كثيرا ما استعملت بعض الاطارات النظرية من الماركسية ـ والمبتسرة ابتسارا من اصل المذهب ، والمطبقة تطبيقا مغلوطا ـ لتبرير انحرافات سياسية خطيرة ، وخاصة عبر النضال العربي . وبدلا من ان نتوسع في مناقشة تفصيلية لهذا المقال الخطير ، فاننا سنكتفي بالاشارة الى بعض نقاطه :

١ ـ لماذا يحرص الكاتب على تفنيد الحل الديني للمسألة الفلسطينية . وهل يستطيع الكاتب ان يهمل اثر التعصب اليهوديفي الدعوة الصهيونية . بل الا يبدو واضحا ان ايديولوجية هذه الدعوة قائمة كلها على تجسيم المأساة الدينية لليهود والاستفادة من كافة العوامل الميتافيزيقية والتاريخية في قصة تشرد اليهود ؟ فاذا ما قام بالمقابل العامل الديني الاسلامي والمسيحي ، كرد فعل له قيمتهالواقعية في المعركة ضد الصهيونية وتجسيمها المادي في اسرائيل ، هل نحن مضطرون لوصفه بانه عامل تعصب ؟ وللكاتب ، مع هذا ، الحق في ان يستنكر استغلال البورجوازية الدينية لهذه القضية ، وتشكيل قيادة لها على هذا الشكل ، ففي الربع الثاني من هذا القرن كانت المشاعر الدينية احدى المحركات الاساسية للطاقة النضالية في صراعها السلبي ضد الاستعمار ، وضد طلائعه الصهيونية في هذه البلاد . وعلى ذلك فينبغي ان نميز بين شرعية هذا الانفعال في هذه المرحلة من نمو الوعي القومي،وبين استغلاله من قبل الاقطاعية او البورجوازيةالعربيةالناشئة.

ثم هل كان يمكن للعربي المسلم او المسيحي ان يتخلى عنشعوره الديني حينذاك ، وهو يرى اليهودي ، باعتباره اليهودي ليس الا ،يتدفق على وطنه ، ويستلبه شيئا فشيئا ارضه وسبل عيشه ؟

ومهما قيل عن ان العمال اليهود كانوا فقراء ايضا كالعمالالعرب، لكي نستنتج من ذلك ، انه كان على العمال العرب واليهود ان يتحدوا لمقاومة الامبريالية المتجسدة في الاستعمار الانكليزي اولا والاستعمار الجديد الاميركي ثانيا ، فان هذا التحليل قد يضيع حدود المعركة ، ويداخل بين العدو والصديق ضمن رابطة هي اوهى بكثير من الرابطة

ـ التتمة على الصفحة ٧٦ ـ

(١) ان من غابت عنه هذه الحقائق او اخذ في نسيانها يستطيع أن يرجع الى الوثائق والمنشورات التي تفضح مواقف الشيوعية من كل هذه القضايا في كتاب الاستاذ حكم دروزة عن الشيوعية والقومية العربية .

القصائد

بقلم الدكتور عز الدين اسماعيل

***

احب قبل ان ابدأ حديثي ان اقول كلمة ثناء على العدد الماضي بصفة عامة من حيث فكرته وتنفيذه والغاية النبيلة التي اداها . فتخصيص عدد من الآداب لفلسطين عمل يشكر ، وان كان حق فلسطين على «الكلمة» ما يزال اكبر واكبر . وليس من حق احد ان يفقد ثقته في الكلمةودورها او يتردد في تقدير فعاليتها قائلا او متلقيا . فسوف تظل للكلمة اثارها الفعالة في النفس البشرية ، وستظل لها دافعيتها الاكيدة الى الحركة والعمل ، ما توافر لها عنصرا الجدية والاخلاص . والعدد السابق من الآداب كان عددا جادا ومخلصا .

ثم ابدأ جولتي مع شعراء العدد وهم غير قليل . لقد اجتمعوا على ارض واحدة ، وتحركوا في اطار واحد ، وان تشعبت بهم المسالك والطرق ، واختلفت المنظورات والرؤى . فقصائدهم جميعا قد بدأت انطلاقها من نقطة واحدة ، طالما انطلقت منها كذلك من قبل قصائد وقصائد ، لهم ولغيرهم . فالارض اذن مطروقة ، او لنقل ـ دون مجاز ـ ان الموضوع طالما كتب فيه ، حتى ليتوقع الانسان انه قد صار من العسير الوقوع فيه على جديد . على ان هذه النظرة تبدو كذلك متشائمة . فصحيح ان كثيرا من القصائد التي تدور حول قضية فلسطين او ترتبط باي مشكلة من مشكلاتها الفرعية هو ترديد لنغمة او نغمات متكررة بكل ابعادها الفكرية والنفسية والفنية ، ولكن ليس معنى هذا ان كل الابواب والنوافذ قد غلقت . فما تزال القضية بكل مشكلاتها حية ، وما تزال نبعا لاثارات لا تنفد .

ولعلني بهذا الكلام لم اكن بعيدا عن قصائد العدد الماضي . فمن السهل ـ عند النظرة العامة ـ تبين ان في الامكان تقسيم هذه المجموعة من القصائد قسمين رئيسيين : قسما ينتمي الى النغمات المألوفة المتكررة ، وقسما يوقع انغاما فيها اصالة وابتكار وجدة .

ولست اعني بنغمة القصيدة ـ جديدة كانت ام مكرورة ـ مجرد الايقاع الموسيقي او ـ اذا توسعنا قليلا ـ الاطار الفني الخارجي ، وانما اعني ـ مع مزيد من التوسع في المعنى ـ الكيان الكلي للعمل الفني ، شكلا وموضوعا وتناولا . ومع ان الموضوع في حالتنا ، بوصفه نقطة انطلاق ، يبدو موحدا فان هذا القسم الاخير من القصائد قد كشف لنا عن غنى هذا الموضوع ، وكيف ان الاثارات فيه من الممكن ان تتعدد وتتلون الى ما لا نهاية .

والحق ان موقف الانسان الشاعر من اي قضية قومية او انسانية انما هو موقف فريد له خصوصيته ، وما لم يبرز هذا التفرد وهذه الخصوصية في عمله فان عمله يظل في هذه الحالة من نوع « تحصيل الحاصل » كما نقول . فالانسان الشاعر لا بد ان يكون له منظوره الخاص ورؤيته الخاصة ، وان كان المنظور اليه قضية عامة مشتركة ،سواء على المستوى القومي او الانساني بعامة . واختلاف المنظور والرؤية من شاعر لاخر ـ حين يتحد الموضوع او الاطار العام له ـ لا يعني بالضرورة التعارض بين وجهات النظر ، وانما يعني ـ في المحل الاول ـ استكشاف الزوايا الجديدة للرؤية ، والابعاد الجديدة للمنظور . وفي حدود هذا المعنى كان تقسيمي المبدئي لقصائد العدد الماضي .

ولعل هذا التقديم يعفيني الان من الوقوف عند كل قصيدة على حدة ، فهذا امر يطول ، ولكنني سأقف بالضرورة وقفات ملية نوعا عند بعض القصائد .

وابدأ بان اسجل ظاهرة ملموسة في مجموعة من قصائد العدد الماضي هي ظاهرة العودة الى التاريخ القديم واختيار مواقف منه تصلح نقطة انطلاق نحو الحاضر وزاوية جديدة لرؤية الواقع واستكناهه . وهذه المواقف التاريخية ترتبط بالضرورة بشخصيات قامت في وقتها بدور بعينه عرفه الناس عبر التاريخ حتى صارت الشخصية بذاتها رمزا لكل الدور التاريخي الذي ادته . على انه لم يكن من الضروري بالنسبة لشعرائنا الذين اتجهوا هذا الاتجاه استحضار كل الموقف القديم بكل حذافيره ، وانما كفاهم التعامل مع المعنى الرمزي التاريخي لهذه الشخصية او تلك . ومن امثلةالقصائد التي اتجهت هذا الاتجاه قصيدة « شمشون » وقصيدة « الكلدان في المنفى » وكذلك قصيدة « اصابع المطر » .

ما الذي يمكن ان ندل عليه هذه الظاهرة ؟ أيمكننا ان نرجع الامر الى مجرد الاتجاه العام السائد في الشعر المعاصر ، اعني استغلال الرمز الشعبي في تفجير طاقات تعبيرية جديدة ؟ قد يكون هذا الفرض مقبولا ، ولكننا حين نمعن قليلا في هذه المجموعة من القصائد يلوح لنا معنى اخر . فالمحور الشعوري الذي تدور حوله هذه القصائد هو « العودة » ، ودبيب الحياة في النفوس وفي الارض الموات،وظهور البطل الذي يحسم المعركة .

نقرأ في قصيدة « شمشون » مثلا قول الشاعر علي كنعان :

وتدب في الانقاض كالنبض
حمى مخاض يستفز كوامن الارض
وحفيف روح ـ من سماء تلك القبة البلهاء ـ منقض
شمشون ينفض عنه اكداس التراب
فتهب في فرح طفولي عنيف
تبكي ، تلفلف جرحه بشفاهنا
وبما تبقى من تجلدنا النزيف
فيعود اقوى ما يكون مجنحا برؤى الشباب .

وتطالعنا نفس المعاني حين نقرأ في قصيدة «الكلدان في المنفى» قول الشاعر فواز عيد :

بختنصر
عاد حيا
عاد مجنونا وشاعر
سامريات رأينه .
كان فوق البرج ممنوبا كرمح من ضياء

فكما دبت الحياة في شمشون دبت كذلك في بختنصر . وكما جاء الفأل الحسن بعودة شمشون كذلك كانت عودة بختنصر ضياء امل يتسرب الى النفوس . يقول الشاعر على لسان بختنصر :

« الف طوبى للصفار
لا تخافوا
لست ربا حاقدا ... لست الها من غبار
انا سيف كان مدفونا وعاد
كنت في المنفى حبيسا .. ورجعت
لم امت ... نمت قرونا وبعثت »

ولا تبعد هذه الصورة كثيرا عن الصورة التي رسمها الشاعر فايز خضور في قصيدته « اصابع المطر » حيث يقول :

ترى يعود « عاد » ؟
تلفه غلالة رموشها المساء
صغارنا يهللون ، هل يرونه ؟
جواده بالف حافر وحافر كبير
ورأسه بلا عيون ... الخ .

فهذه القصائد الثلاث تدور ـ كما قلت ـ حول محور شعوري واحد هو العودة . ويمكننا ان نقول انها لم تستلهم شخصيات شمشون وبختنصر وعاد لمجرد التقليد المألوف في استغلال الرمز الشعبي وانما لارتباط هذه الشخصيات بارض المنطقة من جهة ،ولاتساق محور « العودة » الشعوري مع العودة الى التاريخ واستلهامه من جهة اخرى .

وقد كان روح التفاؤل سائدا في هذه القصائد الثلاث ، حتى قصيدة « أصابع المطر » التي يغلب عليها طابع التساؤل اللهيف والقلق لم تخل من استشراف للمستقبل السعيد . على انه لا يحق لي ان اقصر روح التفاؤل على هذه القصائد وحدها ، فالتفاؤل يشيع في معظم قصائد العدد الماضي ، وبخاصة في قصيدة « عودة التائه » للشاعر علي هاشم رشيد وقصيدة « لقد اخترنا » للسيدة الشاعرة ملك عبد العزيز وغيرهما . ولكن لما كان التفاؤل قد صار ظاهرة تقليدية في الشعر الذي يتصل بفلسطين فان هذا يحتم علينا ان نفرق بين تفاؤل وتفاؤل، بين تفاؤل تقليدي يبدو مصنوعا متعمدا بوصفه قد صار عنصرا اساسيا في شعر النكبة ، وتفاؤل يبدو موائما لنسيج التجربة، طبيعيا بالنسبة لها . اما انا فسأكتفي بضرورة التنبيه الى هذا الفارق وادع الباقي للقارىء .

وقبل أن انتقل الى ظاهرة أخرى في شعر العدد الماضي احب ان انبه الى أن القصائد الثلاث التي اشرت اليها ليست وحدها القصائد التي توقع نغمة جديدة مبتكرة . فليست الجدة وليس الابتكار رهنا باستلهام التاريخ واستغلال الرمز الشعبي ، وانما تتحقق الجدة والابتكار كذلك في القصائد التي تعبر عن التجربة تعبيرا فنيا مباشرا . واسوق مثالا على هذا قصيدة الشاعر ناجي علوش عن « الغريب » . صحيح ان التعبير عن الغربة جزء من الاحساس العام بالنكبة ، وكل القصائد التي اشرت اليها من قبل هي تعبير – بمعنى من المعاني – عن الاحساس بهذه الغربة ، لكن زاوية الرؤية في قصيدتنا هذه قد كشفت لنا جانبا نفسيا له خطورته ، بل لعلني لا اغالي اذا قلت انها فسرت لنا معنى « الغربة » تفسيرا نفسيا من الطراز الاول .

لقد استبطن الشاعر موقفه الراهن ، وتأمل تجربته التي يعيشها، تجربة الغريب ، وحاول أن يتفهم الدوافع الخفية التي تتحرك وراء هذا الموقف . فبعد ان حدثنا عن رؤيته المفاجئة التي جعلته يرى – عاكسا مشاعره الشخصية على الاشياء – كل شيء غريبا ، حتى قميصه وحذاءه والرؤى التي تمر به في وضح النهار ، وبعد ان حدثنا عن مشاعره ازاء المدينة التي قضى فيها سبع سنين باحثا عن سلواه وأمنه ، او باحثا عن نفسه ، لاحت له قريته القديمة وزيتونته الخضراء في الجبل ، التي ذوت ، لان راشدا الراعي اغراه زخرف الحياة فباع كل شيء ولجأ الى المقهى لكي يقتل الملل بلعب القمار ، حالما بالثروة التي تجعله يعيش عيشة « الكبار » . وهذه الصورة التي رسمها الشاعر للراعي الذي يلجأ الى المقامرة لكي يجنب نفسه اعباء المغامرة والكد هي – فيما يبدو – انعكاس كذلك لنفس التجربة التي يعيشها الشاعر . ومن ثم نجده يقول في المقطع السابع من القصيدة :

انا غريب
وراشد غريب
غربتنا واحدة وموتنا
ورعبنا من الغد القريب
وان يكن هناك
او كنت هاهنا
لاننا نقامر
لاننا نقامر
لاننا نعيش في متاهة انتظار
لاننا نبحث في مائدة القمار
عن روعة انتصار .

وبهذا كانت الرؤية في هذه القصيدة جديدة ومبتكرة ، لانها قبل كل شيء تجربة اصيلة .

وما دمت اتحدث عن هذا اللون من القصائد التي تكشف عن اصالة وابتكار فلا يفوتني ان اشير هنا الى قصيدة « اكزوديس في الدار البيضاء » للشاعر احمد المجاطي . فقد اختار زاوية جديدة للرؤية اضفت على القصيدة جدة وحيوية وجدية ، وخرجت بها عن الاطار التقليدي لقصائد النكبة ، كما لا يفوتني الاشارة الى قصيدة « حروفي الجديدة » للشاعر فؤاد الخشن . فهو وان لم يتحدث عن شيء في النكبة لقد كانت التجربة التي تعبر عنها القصيدة تجربة طريفة لا ينقصها الصدق ولا الحرارة . لقد حدثنا عن تحوله الايديولوجي من الغنائية الذاتية الى المشاركة الاجتماعية . ولم يكن الدافع الى هذا التحول قضية واحدة كقضية فلسطين ، وانما اشكال اخرى كذلك تكرر وجه هذه القضية في مختلف انحاء المجتمع الانساني. وتعكس لنا القصيدة بعد هذا صورة لهذا التحول ، لا من خلال التفكير النظري ولكن بوصفه نتيجة مباشرة للنظرة الواسعة الى واقع المجتمع الانساني . واذا كنا نتحدث في مجال القصة عن القصة ذات المحورين Double plot فان في وسعنا ان نستخدم هذا المصطلح كذلك في الحديث عن هذه القصيدة . ففي الوقت الذي يبدو فيه الشاعر منهمكا في التعبير عن موقفه الجديد من الكلمة اذا به بنفس الحرارة يحدثنا عن عذابات اللاجئين وعمال المناجم في اوربا ، وعن الجياع في الصين والزنجي المهان في امريكا ، ويربط بين هذا كله بخيط شعوري واحد .

اما الظاهرة الثانية التي تلوح لنا في قصائد العدد الماضي فظاهرة عامة تنسحب على الوضع الراهن للشعر العربي كله . وتتمثل لنا هذه الظاهرة في وضوح عندما نقسم مجموعة قصائد العدد الماضي مرة اخرى الى قسمين : قسم تغلب على القصائد فيه الضبابية ويوحي بتمزق التجربة ، وقسم اخر فيه وضوح وشفافية وتماسك . ولست انكر ان الشعر يقبل الجو الضبابي كما يقبل الشفافية . فالمسألة ترجع اولا واخيرا الى طبيعة الشاعر نفسه ، الى ذهنيته وطريقة استجابته للخيال ورؤيته الاشياء . وليس من حق احد ان يطلب من

– التتمة على الصفحة ٧٧ –

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

السائح والترجمان	لتوفيق يوسف عواد
محاورات الكرمليات	لبرنانوس
غرازيبلا	للامارتين
قصة القرعة	لمنذر الدقاق

واجمل نوعية أدبية

من الكتب القيمة

القصص

بقلم الدكتور احمد كمال زكي

★★★

في حقيقة ادب المقاومة :

عندما كتب صديقي الدكتور صالح الاشتر عن بعض ادب النكبة ـ اعني نكبة فلسطين ـ اختلفت معه في شيء واحد هو : انه تعجل فرصد للمأساة وهي لما تزل خارج الاستبطان عند الاديب !

وكان معنى ذلك اني لم ألق معظم الاثار التي عرضت للنكبة تلقيا طيبا في اغلب الاحيان ، فقد كنت اراها اميل الى « الهتافية » او اكثر قربا الى ادب الاعلام ـ ان كان هناك كهذا الادب ـ ولهذا عجزت عن ان نقدم عطاءها في ايديولوجية رصينة ممتزجة بالحس المرهف .

اجل ، قرأنا بعض الاعمال الناجحة كقصة كنفاني « رجال في الشمس » وقصيدة فدوى « نداء الارض » غير ان مثل هاتين اذا قورن بضخامة الحدث وما قيل فيه باقلام السياسيين والاجتماعيين ، لا نملك الا ان نقول ان ادبنا المعاصر في جملته ـ وان ربطته الكارثة بواقعنا العربي ـ لم يزل في طور التعبئة والانتظار ، وكل ما صدر منه عما يخيل انه وضع طبيعي ليس في حقيقته اكثر من محاولات اجهاض لجنين لم يكتمل نموه بعد .

ولقد يمكن ان يرد علي قولي هذا ، ولا سيما من دعاة المقاومة ومن يرى ان الادب سلاح او ينبغي ان يكون ، غير انني اسرع فاقول : لا حاجة بنا الان الى الخوض في معركة طالما قام نظيرها بين معسكرات الرأي ، فانه يصعب علينا باي حال من الاحوال ان نقبل ـ في نقد الادب ـ موقفا فكريا نراه من كل جانب ناقص التكوين او لم يهيأ له ان يصحو من ظلمات الغيب ، وما اشبه هذه الظلمات بليل الصدمة التي نجمت عن وقوع الكارثة !

اننا نحب ان يكون لدينا ادب المقاومة ، ولكننا نحب اكثر ان تكون المقاومة في حدود امكانياتنا الاصيلة . فلا نصرخ ولا نكابر ولا ندعي ما لا طاقة لنا به ، لاننا يوم نبرز للخصم مدفعا من الصفيح او طائرة من الورق نكون كمن اقام بينه وبين اعدائه حصنا من الخشب فدك عقب أول طلقة من رصاص .

وبهذه الفكرة التي نوقشت طويلا وستظل تناقش ، قرأت القصص التي نشرتها عن فلسطين مجلة الاداب في عدد مارس (اذار) من سنة ١٩٦٤ ، وكنت لا ازال على رأي ان ستة عشر عاما لا تكفي للتعبئة الادبية الحقة . ومن ثم عن لي ان اثير قضية التعبير الفج تحت تأثير الحاجة العاجلة ، غير اني آثرت ان اجعل هذا طرفا من اطراف موضوعية النقد على النقاد ان يتجردوا له ببحوث مستقلة مستفيضة . ومن ناحية اخرى رأيت ان اجعله نقط بداية او نهاية في التعرض لقصص العدد ، وعند ذلك يصبح من السهل ان نتصور ادب المقاومة بعيدا عن الطنطنة الكلامية والحماسة المصطنعة .

ومع ذلك فقد يكون من الضروري ان اقرر بادىء ذي بدء انني كنت كثيرا ما احار كيف اطبق مقاييسي الخاصة ـ على اي نحو ـ في الحكم على قصص اعلم ان اصحابها يخالفونني في اكثر من شيء ، الا اني كنت ازعم لنفسي ان ما اقوم به لم يقصد به سوى التفسير . فان دفعتني حماسة المناقشه الى ضرب من التسفيه ـ بدعوى التقييم الحقيقي ـ فأرجو الا يراه احد اكثر من رأي يدحضه رأي اخر اكثر منه استواء ونضجا .

القصة الاولى « نبي بلا احزان »

وهذه القصة ليست الاولى بحسب ترتيبها في عدد الاداب الماضي ، بل قد نشرت في ذيل كل القصص . وعندما انتزعها من المؤخرة فاقدمها على غيرها ثم اظفرها بالاولوية ، فانني لا اعني ان « الاداب » نشرت غيرها على اساس تقديم الاحسن منها فالحسن وهكذا ، ولا اعني كذلك اني رأيتها اكثر انطباقا على مقاييس النقاد ، او قل اكثر خضوعا لمقاييس واقعنا الادبي . وانما اعني انها قدمت عطاءها في يسر ، وصدقت عن نفسها ببساطة ، برغم كل ما زلت به قدم صاحبها .

ان علي زين العابدين الحسيني ـ وهو من غزة ـ لا يحاول ان يقدم البطل الفرد الذي يلوذ بالغابات كروبين هود ، او الذي يسرع الى سيفه ومخاطراته كباردليان ، او الذي يتحصن بالبحر حتى تدين له قلاع البر ككابتن بلود . بل هو لم يحاول ان يجعله « سيزيف » ولا « بروميثيوس » ولا غيرهما من ابطال الاساطير والملاحم ، ولكن جعله انسان العصر بكل عيوبه وفضائله . فهو يخطىء ويسقط ، ثم يحاول ان ينسى خطأه وسقوطه بالخمر ـ والخمر عنصر كلاسيكي في الاعمال القصصية ـ بل قد نراه يتحيز الى البورجوازية اللاهية ، ويلجأ الى قوى الظلام باعتبارها نهاية المصير .

وكانت الخطة العامة التي اتبعها الحسيني كمؤلف تقضي بان يجعل تأملات بطله هذا متقافزة ، فعقد بين تمزقه النفسي وبين احد اساليب القصه الجديدة ، واستطعنا ان نقف على اكبر قدر من التجربة ـ تجربة المحنة ـ باقل قدر من التعبير . وفي ضوء هذا يتضح لنا ان الاعتداء على زوجة البطل من جانب اليهود هو المحور الذي تقوم عليه القصة ، فابتعدت من ثم عن غنائيات الحماسة وتفجعات المقاومة التي اعتدنا ان نراها في اكثر اعمال النكبة الفلسطينية .

لقد قالوا لرمزي ـ وهو البطل ـ ارحل وستنسى ، ورحل ولم ينس ان اربعة من اليهود تركوا صديدهم في احشاء زوجته . وقد كان يراها فتقض مضجعه ، وتعودت هي ان تلوذ باقصى الغرفة لتضرب بطنها وتصيح : يهودي في بيتنا ! ولكنه كان لا يفعل شيئا لان حزنه كان اكبر منها ومنه ، وعندما اشعلت النار في جسدها تركها بجبن لمصيرها وهي تحاول ان تنطق باسمه تريده ان يغفر لها .

« هل كان بامكاني ان اصف كيف نطقت باسمي ؟ يا الهي كيف.. كيف تنفصل عنا الذاكرة ؟ كيف يسقط منا الشعور ؟ كيف لا نصدق؟ كل ليلة اتعاطى حبوبا لانام .. منذ سبع ليال وانا اعدو من اشباحي».

لقد انتهى الحسيني ببطله الى نهاية بطل كامو في « السقطة »

صدر حديثا :

تأليف :

الدكتور عبد الجبار الجومرد

داهية العرب

ابو جعفر المنصور

مؤسسة الدولة العباسية

عن دار الطليعة ـ بيروت ص. ب ١٨١٣

يجمعهما الجبن والاحساس بالاثم ، ولكن حزن رمزي اكثر ضراوة واثارة حتى لينكر كل شيء .. السماء والنجوم والناس والاصدقاء ، وعندما قابلته تلك البغي في الطريق لم يجد عندها شيئا . اجتمع بها على فراش واحد ، ولكنه لم يستطع الا ان يفرغ احزانه في احشائها لينتشي وينام !

واذ ذاك خرجت البغي وقد احست انها « تحمل » الحزن ، ورأت بعينيه ان السماء — التي قد ترحم — اعلى مما يجب .

تلك هي الخطوط العامة لقصة الحسيني ، وان تكن من المؤكد افقدت العمل الاصلي « عرامة » التفصيلات التي تلعب برمزي دورا رئيسيا في بلورة الحدث . غير انها على كل حال ضرورية لاي قارىء لم يتح له الاطلاع على القصة من ناحية ، فضلا عن انها من ناحية اخرى تبين ان الحدث الذ ي يبدأ من حيث وقعت النكبة يمكن ان يكون اساسه اي شيء آخر . بمعنى ان واقعة « الاعتداء » على زوج رمزي ليست خاصة من خصائص اليهود وحدهم ، وانما هي ظاهرة تتفشى بين المخربين عامة . ولعل هذه زاوية يمكن ان يهاجم منها الحسيني ، ومن حيث نحس ان وراء الاعتداء عملية تلقيح من نوع جديد — وهي التي افسدها الحسيني بأن جعل البغي تهتف في حركة مسرحية بعد ان نام رمزي بجانبها : افرغ شهوة احزانه في احزاني — نرانا نقرر ان سر تفوق الحسيني لم يكن لانه استبطن تجربة النكبة ، ولكن لانه استبطن تجربة انسانية في اوسع اطار انساني لها !

والدليل على ذلك انه وهو يدفع بنا وراء بطله — وقد كان ايقاع القصة سريعا جدا — ثم وهو يتكىء على نوع من الحوار الباطني ليحلل افكاره على طريقة جيمس جويس احيانا ، واخيرا وهو يسرد ويجتر ويسلسل الانفعالات النفسية .. اقول بان الدليل على ذلك — وهو في كل هذا — اتكاؤه على موتيفات لا اقليمية ، ثم استجابته الى مؤثرات لا تستوعب الابعاد اللازمة لجوهر النكبة .

ومع ذلك فستظل قصة « نبي بلا احزان » في مقدمة الاعمال القصصية التي قدمتها مجلة « الاداب » في الشهر الماضي .

القصة الثانية :

هي للاديب الذي عرفته القاهرة — وعرفه العالم العربي — يكتب القصص التاريخي بنجاح ، وقد يكتب المسرحية التاريخية ايضا ، ونشرت له مؤخرا احدى دور النشر في ليبيا « العالم الضيق » . ولقد سعدت ان يسهم هذا الاديب وهو نجيب الكيلاني بقصة « المصلوب » في معركة فلسطين ، ليس لانها من النوع الممتاز لادب المقاومة ، ولكن لانه لم يتورط بها فيما تورط فيه من اعمال ادبية من نوعها وسبقتها .

ولقد يمكن ان تلحق بالمصلوب قصص اخرى ولا سيما هذه التي تعتمد الاحداث وتعقدها لتكون هناك حبكة او ما يجري هذا المجرى ، الا ان نجيب الكيلاني تمكن من ان يخنق نبرة التحمس فيما لا طائل وراءه ، ويقدم البطل في نوع من الوعي هو ما ينبغي ان يقدم للقارىء. ومن ثم لم نجد في طريقته حقيقة صعبة او حقيقة يشق على اي عقل ان يواجهها . فعاهد شاكر — البطل — معقول الى الحد الذي يحرص فيه اي رجل على ان يبسطه بخاصة لخطيبته ، ومغامراته من اجل رفاقه لم تكن كمخاطرات السوبرمان لانه يربطها باحتمال يبدو بعيدا احيانا وان يكن بالنسبة للمحاربين واقعا ابدا او هو يقع باطراد .

لقد كان عاهد شاكر يعيش لحظة تمزق ، لان رؤيته لدم الضحايا — بالامس القريب — تؤرق عليه سعادته . وهو قد قرر ان يضع حدا لتمزقه ، ولما كان رفاق المقاومة يحتاجون الى المال لشراء السلاح فقد اهتدى الى شيء . رجع من الميدان — والبيئة المكانية عنده غير واضحة تماما — وودع خطيبته « وديعة » دون ان يلوح لها بشيء مما عقد عليه عزمه ، ولكنه حدثها عن الخيانة والموت والارواح التي لا تعرف الزمن ولا المسافات .

وعندما التقى برفاقه ثانية يتكشف كل شيء ، فاليهود يطلبونه حيا نظير ثلاثة الاف جنيه ، ولما كان هذا المبلغ يكفي لاطالة امد المعركة قليلا فلا اكثر من استغلال الطلب بصورة يصل المبلغ فيها الى اصحابه. وقد تم الاتفاق على ان يقدمه واحد من رفاقه — بصفته خائنا — الى اليهود ويقبض الثمن ، على ان يعمل هو على الهرب بعد ذلك . واذا كان رفاقه قد نجحوا في الشطر الاول من الخطة ، فانهم في الشطر الثاني فشلوا لان اليهود — بعد ان دفعوا الثمن — لم يمكنوه من الهرب قط . فقد عجلوا بصلبه ليعجلوا بنهاية بطل من ابطال المقاومة .

ان القصة في حد ذاتها تفضي بنا الى مسألة خطيرة في النقد ، ذلك انها تثير السؤال الخالد التالي : أكان نجيب الكيلاني مقنعا في تقديمه عاهد شاكر ؟ ويمكن ان يتحول هذا السؤال الى سؤال اخر اوضح هو : أترى اصاب الكيلاني حين قدم لنا حقيقة عاهد شاكر على ذلك النحو الذي رأيناه ؟

لست ادري بماذا اجيب في الحقيقة ، ولكنني ارى ان ما قدمه نجيب الكيلاني — وان يكن مخالفا للمألوف من طبيعة البشر ومن ثم يخالف ما نسميه بالحقيقة العلمية — لا يبدو شاذا في القصة ، تماما كما لا يبدو شاذا ما سيق في روبنسون كروزو وما سيق في رحلات جاليفر. حقا لا ينطبق ما في هاتين الروايتين على ما يصدق عليه واقعنا الفعلي ، الا اننا من الناحية الفنية لا نرفضه تحت اي دعوى من الدعاوى الكثيرة في النقد .

اذن فقد كان منطق « المصلوب » يفرض علينا ان « نصدق » صورة البطل المضحي الى حد الجنون .

وماذا بعد ذلك ؟

وبالقدر الذي جعلنا به « المصلوب » قصة ثانية لا نجد القصة الثالثة . فالقصص الاربع « عندما تشرق الشمس من المغيب » و« الغرباء »

— التتمة على الصفحة ٧٨ —

حدث جديد في المكتبة العربية

تاريخ الحضارات العام

أوفى واشمل موسوعة حضارية في سبعة مجلدات من ٥٠٠٠ سنة قبل المسيح حتى يومنا . صدر منها المجلد الاول بعنوان :

١ — الشرق واليونان القديمة

وهو يقع في نحو ٨٠٠ صفحة من القطع الموسوعي الكبير ، مجلد بالقماش ومزود بالخرائط والتصاميم واللوحات التاريخية .

الثمن ٢٥ ليرة لبنانية

٢ — روما وامبراطوريتها

(تحت الطبع)

منشورات عويدات

ص.ب ٦٢٨ بيروت لبنان — تلفون ٢٤٢٦٦٠

الابحاث

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١١ ـ

الحيوية القومية التي كانت تدفع بالعرب جميعا ، برجوازيين واقطاعيين وفلاحين ومثقفين ، الى معاناة الخطر العام الناجم عن غزو اليهـــود المتزايد يوما بعد يوم . فاليهودي الفقير او الغني هـو سواء من حيث انه غاز مسلح بمشروع استعماري بعيد المدى .

٢ ـ ثم يفند الكاتب(الرؤية الشوفينية) للمسألة الفلسطينية ، لانه يخشى على هذه المسألة من ان تؤلف صراعا تعصبيا بين قوميتين . تكما هو ضد التعصب الديني ، فانه كذلك ضد التعصب القومي .خاصة وانه قد يفهم من هذه الرؤية ان اليهود يؤلفون قومية قائمة بذاتها . ولكن الكاتب لم يبين لنا متى تنتهي حدود القومية في هذه المســألة ومتى تبدأ حدود الشوفينية . ولست ادري ان كان الكاتب يعتبر ان القومية العربية ، وفي هذا النطاق بالذات ، هي شوفينية ام لا . ليس هناك من جواب مباشر .

ومن جهة اخرى فانه يهاجم من خلال هجومه على الشوفينيـة ، الاستغلال اليمني لهذه القضية ، وتفسيرها للقضية اليهودية على اساس الطبع اليهودي الذميم والاخلاق اليهودية السلبية . فقد نفقد بذلـك هذا الجزء من اليهود الذي لا يناصر الصهيونية ـ مع العلم ان الاحداث قد ثبتت ان هذا الجزء لا اهمية له في ميزان الواقع ، وان الصهيونيـة العالمية استغرقت تقريبا كل اليهود في العالم ، ما عدا بعض الاصوات من علماء ومفكرين .

اما ان الرؤية الشوفينية قد تخسر تأييد القوى التقدمية فيالعالم، ومنها الشيوعية طبعا ، فذلك قد يكون صحيحا . ولكننا لم نعلم حتـى الان ان كان يعبر الكاتب القومية العربية في مضمونها الاشتراكـي التقدمي ، شوفينية ام لا . والقومية العربية من جهة اخرى ملزمة ان تدرس علاقة المعسكر الاشتراكي التقدمي في العالم بالقضية الصهيونية من وجهات نظر مختلفة حسب الظروف السياسية المتطورة . فـــقرار التقسيم مثلا ايدته روسيا الستالينية . وحتى اليوم لم تتضح وجهـــة نظر المعسكر الشرقي بصورة نهائية من مأساة فلسطين ، وان اصابها كثير من التحسن عما كانت عليه من قبل .

وللكاتب تحليلات طبقية متشعبة ضمن فلسطين قبل النكبـــة ، كانعكاس لاوضاع الامبريالية وغيرها . وقد يمكن متابعة هذه التحليلات احيانا لو اتضحت الادلة عليها ، بصورة كافية اكثر . وقد تصدم بعض هذه التحليلات الوجدان القومي عند القارىء ، خاصة عندما يحـاول الكاتب تفسير الاضطهاد اليهودي ، وتبرئة الجماهير اليهودية في فلسطين من موقفها العدواني ، وتوحيد وضعها الاقتصادي مع الجماهير العـربية الاخرى ، وتصوير قضية فلسطين كلها ، وكأن العرب واليهود (معا) كانوا ضحية للعبة الانكليزية الاميركانية . وممـــا يؤذي وجدان المأساة ايضا هذا التفسير للحرب الفلسطينية ، وكأنها حرب مصطنعة دفعت اليهـــا البرجوازية العربية للتخلص من بعض تناقضاتها الداخلية . وكـــان الاحرى بالكاتب ان يتذكر الاحداث ، فيرى كيف ان الحكومات الرجعية، قد دفعت دفعا من قبل الجماهير العربية لاعلان هذه الحرب ، ثم خانتها.

وعلى كل حال ان عيب التطبيقات الماركسية على مشكلاتنا القومية والاجتماعية ـ هذه التطبيقات الاخذة بالنمو والاتساع ثانية في ايامنا هذه ـ هو انها تفتقر دائما الى ثلاثة عوامل اساسية : اولا ـ الفهـــم الحقيقي العلمي للماركسية وتطوراتها ومدارسها المختلفة . ثانيـــا ـ المعاناة المخلصة لمعطيات واقعنا العربي وخصوصية مشكلاته . ثالثـا ـ القدرة على اصطفاء الاطر النظرية وملاءمتها مع هذه المعطيات، دون تعسف او قسر يشوه المبدأ النظري من جهة ، ويزيف وجه الواقع من جهة اخرى.

ويأتي مقال الدكتور (زكريا ابراهيم) وهو (شهادة فيلسوف امريكي حول القضية الفلسطينية) صورة فكرية عن مناقشة الحجج الصهيونية التقليدية من اجل الاستيلاء على فلسطين . والمقال طريف في حد ذاته، يقدم نموذجا عما يمكن ان يثير مفكرا غربيا متدينا ضد اقامة وطن يهودي في فلسطين . ولسنا ندري من خلال هذا المقال ، ان كان (هوكينج) يتحمس لعدالة القضيه العربيه ضد اليهود ، من اجل هذه العدالة ذاتهـا ، او لدوافع دينية وفكرية موضوعية اخرى . وعلى كل حال فان هوكينـج يبدو انه قانع بان اليهود يصدقون حججهم تلك ، دون ان يكشف عـن الدوافع الاستعمارية والرأسمالية اليهودية والغربية وراء هذه الدعوة الشرسة لاقامة دولة اسرائيل

هذه بعض الملاحظات العابرة حـــول بعض المقالات السياسية والتحليلية التي حواها العدد الممتاز . واما المقالات التي تتوجه الـــى دراسة ثقافة النكبة ذاتها ،فهي قليلة . وهذا القليل لا يفي باي جـــزء من الموضوع . ولربما افادنا الاخ عبد الجليل حسن من مقاله الـــذي استعرض فيه فهرسا شاملا حول مختلف الكتب والدراسات التي ظهرت عن فلسطين . واذا كان هناك من ينوي ان يقوم بدراسة حول ثقـــافة النكبة ، فلعله يستفيد من هذا الثبت الفهرسي الجامع . انه توطئـــة علمية لدراسة علمية .

ولا بد اخيرا ان اسجل هذا النقص الكبير الذي يلمحه القارىء في العدد الممتاز فيما يتعلق بالهدف الاصلي للعدد ، وهو دراسة ثقافةالنكبة، بما فيها من ميزات ونواقص . انه عمل لا بد ان يستثير همم الادبـــاء مجددا ، في هذه المرحلة ، ليساهموا الى جانب السياسيين في خلـق الجو الملائم لمعركتنا القادمة .

مطاع صفدي

معجم البلدان

للعلامة ياقوت الحموي

لسنا مغالين اذا قلنا ان مكتبة العـــالم والاديب والمؤرخ وكل من يعنى بشؤون الفكر يجب أن لا تخلـو من هذا الكتاب النفيس فقد ذكر فيه مؤلفه جميـع اسماء القرى والبلدان وقرر مواقعها الجغـرافية وميزاتها وما اشتهرت به ومن انبتت من العلمـــاء والشعراء ثم اضاف الى كل ذلك اشعارا رقيقة تتعلق بالبلد الذي يتكلم عليه ، الامر الذي ابعد عن هذا الكتاب جفاف البحث العلمي وجعله سائغا مفيدا تلذ مطالعته.

صدر في عشرين جزءا (٥ مجلدات) ثمن الجزء ٤٠٠ ق.ل

الناشر : دار صادر ـ دار بيروت

القصائد

– تتمة المنشور على الصفحة ١٣ –

الشاعر نزع الغلاف الضبابي الذي يحيط بعمله الفني . فهذا شيء لم يكن في وسعه ، ثم ان كثيرا من هذه القصائد الضبابية ينجح في ان يخلق في نفوسنا اثارات سرعان ما تتجمع وتتبلور في نفوسنا مشاعر عميقة وان لم تكن دائما ذات طابع محدد . ولكن ينبغي الا تنسينا هذه الحقائق حقيقة اخرى مهمة ، وهي ان الضبابية المتكلفة ، لا لشيء الا للايحاء بان وراءها شيئا وشيئا ثمينا يستحق العناء من اجل الوصول اليه ، لا يمكن قبولها بحال من الاحوال ، وينبغي الا تلتبس علينـــا بالضبابية التلقائية . والفصل بين هذه وتلك يحيلنا الى الكلام عـن نضوج التجربة . فالتجربة الناضجة تفصح عن نفسها حتى في اكثر اطر التعبير ضبابية . وعلى هذا الاساس نستطيع ان نميز بين تجربـــة وتجربة ، ونتيجة لذلك بين قصيدة وقصيدة . على انه اذا كان مـــن الصعب لدى القارىء تحديد مدى نضج التجربة ذاتها فلا اقل مـــن ملاحظة التعبير والايحاءات المختلفة التي يثيرها كل مقطع في القصيدة وكل بيت بل كل عبارة وكل كلمة .

واسوق الان مثالا من قصيدة الشاعر محمود البستاني « هـــي وايار والشتاء » . فهو يقول في المقطع الاول منها :

وحدقت عيناي والريح في ابعاد ابعـــاد الـــدجى تعـــوي
يفـور في كهفيهما جـــامدا كـــل نهـــار راعش الصحـــو
تحدجـــان الشبـــح المنـــزوي وراء غـــابات مـــن الشجـــو
يقتـــاده الغيب الـــى مخدعي عبـــر رؤى مشلـــولة الخطـــو
تحمل لـــي مـــن لسعات الدجى اي تهـــاويل هنـــا تشـــوي
تهجس بـــي تهمس مهتاجـــة – وموكب الـــزحام بـــي يلوي –
عـــن ازمات العـــالم المرتشـــي ضميـــره فـــي غمرة السطـــو
« الهه » يبحث عن « حاذق » يـــذر فـــي الاعين مـــا يغـــوي
يغوي بذر الموت لـــم يرتعش « كفـــا » تذري شبح المحـــو
يبحث عن سهـــم « كيوبيد » من « بفضائه » طـــلائع الغـــزو
أليس سهم الحب نهـــر الـــى حقـــل « يهوذا » مـــره يستهو

واعتذر اولا عن هذا الاقتباس الطويل ، ولكنني شئت ان اجعـل المقطع كله بين ايدينا . فكثيرا ما تعكس بعض الصور ظلالها على بعض فتتضح امامنا الرؤية بعد ان نكون قد استوعبنا الموقف كله بكل صوره الجزئية . فاذا لم يتحقق هذا الانعكاس وشطحت بنا كل صورة فـي واد كان ذلك دليلا على تمزق التجربة الشعورية وعدم وضوح الرؤية .

فاذا عدنا الى الابيات وجدنا انفسنا في البيت الاول قـــد تهيأت لاستقبال رؤى مخيفة . فالليل داجن والريح تعوي . وسواء أكـــان هذا العواء هو حقا عواء الريح ام العواء الذي يصطخب في اغـــوار (ابعاد ابعاد) نفس لشاعر فالنتيجة واحدة ، وهي ان الصور المرئية محيفة ومفزعة . لكن هذا التوقع يصطدم فجأة بصورة اخرى عن تجمد كل نهار صحو في عيني الشاعر . هذه النقلة المفاجئة تبدو لي معترضة طريق الرؤية ومعطلة لها بلا مبرر . فالسياق النفسي يتسق تماما لو ان الشاعر اسقط البيت الثاني واستبعد هذه الصورة الطارئة .

ان عينيه قد ابصرتا في ظلام الليل شبحا ينزوي « وراء غابات من الشجو » ، وهذه الرؤية متسقة . فكثافة الاسى الكامن في نفسه تجعل المرئي شبحا غير محدد المعالم . هذا جميل ، ولكن ظهور هـــذا الشبح لم ينعكس بعد ذلك على الرؤية في مجملها . فما كاد الشاعـر يحدثنا عن مجيء هذا الشبح عبر رؤى مشلولة الخطو حتى تركـه – بلا مبرر – لكي يحدثنا كيف ان هذه الرؤى تحمل اليه لسعات الدجى التي تهجس في نفسه وتهمس في هياج – لا ادري كيف – عن ازمات العالم المرتشي . يا لله ! أكان ادراك « ازمات العالم المرتشي » فـي حاجة الى كل هذه الرؤى والتهاويل ؟ لقد هبطت على رأسي عبـارة « ازمات العالم المرتشي » كقطعة الثلج في برودتها وواقعيتها، وجعلت كل البطانة النفسية التي مهد بها الشاعر كما لو كانت مجرد عبث من عبث الخيال .

هذا المثل يوضح لنا كيف تكون الرؤية ممزقة نتيجة لعدم نضوج التجربة وتماسكها ، وكيف تكون « الضبابية » في هذه الحالة مجـرد لعب بالخيال والصور اللفظية الجزئية . وفي هذه الحالة لا نملـك الا ان نفضل التجارب الشفيفة المتكاملة التي تنقلها الينا قصيـدة كقصيدة « عودة التائه » للشاعر علي هاشم رشيد او قصيدة «الغريب» للشاعر ناجي علوش .

***

وبعد فقد مرت جولتنا في شعر العدد الماضي بمعظم قصائـده . ولما كانت غالبية مواقفنا مع هذه القصائد تتلخص في محاولة تفهمها او استنباط الظواهر العامة والقضايا المشتركة فان بعض القصائد لـم ترد في سياق حديثنا الاشارة اليه . ولكنني احب ان اؤكد ان هـذا لم يكن اهمالا مني لشأنها وانما الامر لا يعدو ضيق اطار الحديـث نفسه عن استيعابها .

القاهرة

عز الدين اسماعيل

صدر اليوم عن

دار النشر للجامعيين

الحركة العربية الواحدة

بقلم
عبد الله الريماوي

اول كتاب من نوعه يعالج مسائل العقائدية بمنطق عقائدي ثوري ويبين الاسباب التـي ادت الـى نكسة الوحدة ويوضح النقاط التي يجب ان تقوم عليها الحركة العربية الواحدة .

القصص

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٥ ـ

و « الطريق المسدودة » و « جريمة في قطنا » في درجة واحدة من الجودة محافظة على معنى التمزق والضياع ، وان تفاوتت مآخذها بين الاغراق في المحلية والتفاني في التغرب .

وربما كان علينا ان نقدر تقديرا صائبا مهارة اصحابها . فالتقدير في حد ذاته بعض ما يقر به اي ناقد ، غير ان لفت النظر الى مآخذهم لا يختلف عن التقدير نفسه، فتصبح المسألة هي : هل استطاعوا ان يقولوا ما يجب ان يقال ؟ ولا اسأل ماذا كان مدى مقدرتهم على الوفاء للقضية، لانني لم اقصد بهذا الى الحسيني ولا الى الكيلاني .

وليس المهم في سبيل الوصول الى الحقيقة ان نقر باختلاف كل منهج عند كل قاص ـ اذ لا بد ان يكون ثمة اختلاف ـ بل المهم ان نتأمل السياق الفكري والعاطفي الذي لا يطمس المضمون قط ، ولحسن الحظ ان القاصين الاربعة كانت لديهم قوة الاقناع بمضمون لا ترفضه حتى العقول المتبلدة .

وابدأ بقصة احمد سويد « عندما تشرق الشمس من المغيب » فلقانا فاطمة ام جابر ـ وهي واحدة من لاجئي احد المخيمات ـ تستعيد ذكريات الامس متطلعة الى بيتها على الطرف الاخر من صفد ، وكان قد اغتصبه اليهود من سنوات وصرعوا ابنها « جابر » في معركة القسطل ، ثم صرعوا اباه في احدى معارك المقاومة . وبقيت هي مع حفيديها زياد وجهاد ، ترقبهما وهما يشبان عاما بعد عام ويتعلمان كيف يبعثان الشمس من حيث غابت خلف صفد .

وموتيفات القصة كثيرة جدا ، ولكنها لا تقدم نقلات ايجابية في السياق . فاليهود الخنازير يريدون تجفيف الحولة ، وسميحة اخت فاطمة لا تزال في كنف « الكفار » اي الخنازير انفسهم ، وهم ايضا قتلوا « طحبيش » الكلب لانه نبح فيهم ، وبيتها فوق التلة الخضراء تطل من شباكه يهودية تتصيد الرجال واحدا بعد واحد ، وهكذا ...

فنسأل : اترى كان يمكن لاحمد سويد ان يتخلى عن هذه الصور ؟

ان للناقد الحق في ان يفصل ما استطاع في مثل هذه المشكلة ، وعليه حين يقر بضرورة وجود موتيف دون اخر ان يقنع الفنان بما يقر، والا فستظل دعواه مجرد اقتراح لا خطر وراءه .

وانا متفق كل الاتفاق مع المؤلف في ان موتيفاته ـ وقد كانت في اطار اقليمي نابض ـ رسمت الجو المناسب ، واعلم ايضا ان زحمتها كانت متساوقة مع عمليات الاجترار التي كانت تصدر عنها ام جابر ، بل اعلم ايضا ان موضوعية القصة نفسها لا يمكن ان تقوم الا عليها وبالطريقة التي بسطت بها . الا ان كل هذا لا يمنعني من ان اسأل احمد سويد : ما ضرورة حكاية « زرع الاسماك » مثلا ؟ الم يكن اولى به ان يقف عند رحلة الخروج في سهل الجاعونة لتكون ثمة مقابلة بين خروج العرب وخروج اسرائيل القديم ؟

واكثر من هذا اسأل : اترى كان ينقص القصة شيء لو حذفنا منها « مشهد » اليهودية التي تتصيد الرجال في بيت ام جابر ؟ ان لليهود مخازي دونها هذا المشهد بكل تفصيلاته !

انني اقول ان احمد سويد كان مؤثرا شاعرا ، ولكنني لا اطلب من القصة ان تعطيني هذا العطاء فقط .

***

ونصل الى « الغرباء » التي كتبها من بيروت حسين قاسم، وتشترك مع قصة سمر العطار « الطريق المسدودة » في شدة القصر ، كما تشاركها في تقديم صورة الفلسطيني المهاجر . ولكن بينما يجري قاسم وراء مهاجره في كامبوسي ومدن سان باولو ـ لعله يقصد ساو باولو ـ نرى سمر العطار تتعقب بطلها في سوريا وفي جبهتها الامامية ، لانه كان ضابطا وكان يؤلمه ان يسمع من يقول : هو فلسطيني !

كان يستشعر عارا ، وكان المهاجر الى البرازيل يحس العار نفسه . وكلاهما بعد ذلك مضيع ، غير ان ضياع البطل في ساو باولو كان يصاحبه مرارة تدل عليه حمله جواز سفر عليه انه « مواطن دولي » بعد ان كان عربيا من رام الله . واما الضابط فقد كان يحاول ان يكون انسانا في وطنه الجديد ـ لانه قطعة من ارض العرب ـ ولكنه صرع وكانت اليد التي صرعته يدا عربية وقيل اذ ذاك : كان فلسطينيا !

اهي خيانة ؟

ان سمر العطار تقول ان ضابطها ابعد عن الجبهة لانه لم يمجد الكيان الذي اصطنعه ضباط الانقلاب الانفصالي في سوريا . وعندما فكر في زيارة صديقه ليعرف هل هو احد الذين خانوا قضية العرب في اطارها الوحدوي الاول اردته رصاصة على باب خيمة الصديق في المعسكر .

ولكن عنصر الخيانة في قصة قاسم اكثر سفورا ، وكان يدور حول الدور الذي لعبه جلوب باشا ابو حنيك بعد سقوط لواء الجليل ، وانتهى بالقضاء على المقاومة العربية . لقد مر عليها قاسم ، ولكن بيد ماهرة ربطت اقصوصته برباط متين ، ومع ذلك فلم تكن تلك القصة في جملتها محكمة تماما . بل لعل قصة سمر اكثر منها احكاما ، برغم ان هذه بدورها ليست من النوع الذي يمكن ان يكون نموذجا رائعا .

***

واخر القصص « جريمة في قطنا » وقد كتبها محمد الجذوب مصطنعا فيها اسلوبا رفيعا واناقة ظاهرة . واخشى ان اكثر النقاد ـ ولا سيما الموقفين منهم ـ يختلفون معي في تقبل تلك الصياغة المترفة ، دلعلهم ان يقولوا : قد يقبل التصنع الانشائي لو كانت القصة لا تريد ان تكشف عن موقف ، اما وانها تناقش قضية الفلسطينيين على الصعيدين الواقعي والانساني فليس يحق للفنان ان يعنى باكثر من الحقيقة

صدر حديثا

تسع قصص

للكاتب الاميركي الشهير ج.د. سالنجر

ترجمة ملك ابيض العيسى مراجعة سليمان العيسى

القلقون

تأليف آسيا جبار ترجمة منذر الجابري

خمسون الف دولار تتبعها **ثلوج كليمنجارو**

للكاتب الكبير ارنست هيمنغواي ترجمة غياث حجار

الشيطان والاله الطيب

للفيلسوف الفرنسي الكبير جان بول سارتر

ترجمة غياث حجار (طبعة ثانية)

العبث

تأليف البير كامو ترجمة سالم نصار

دار الاتحاد للطباعة والنشر

البناية المركزية ـ هاتف ٢٩٣٩٤٥ ـ ص.ب ٢٢٥٩

بيروت ـ لبنان

عارية .. شنيعة ! بل قد يضيفون الى ذلك قولهم : كلما كان الكاتب اقرب بلغته الى لغة الحديث العادي او الى لغة الصحافة اليومية كان اقدر على « التفاهم » والعطاء والتفسير .

ونحن عندما نتعمق هذه الدعاوى يتبين لنا خطلها ، لان لاي قصة اسلوبها الذي ينبغي ان يرتفع عن اسلوب الحديث العادي باعتبارها فنا والفن في الحقيقة استعداد وفطرة ومعاناة وكد .

ومهما يكن من شيء فان القصة قد تفري باكثر من ذلك ، ومن ثم ندع مشكلة اللغة الى احداثها فنرى رقيبا في قوة اليموك بدمشق ـ اسمه برهان ـ يتصل به عن طريق الهاتف زميل من ضابطة قطنا يخبره بان رقيبا اردنيا ـ وهو من قوة برهان ـ قتل عند مدخل البلد . وانه يستعد للتحرك والتحري يذكره خبر الموت بموت زملائه القدامى في معارك القدس وغيرها ، وكيف ان الله مد في عمره حتى يشهد بعيني رأسه كيف اصبح الجهاد من اجل فلسطين فرصة للاثم .

وعندما وصل الى الطريق الداخل الى قطنا مع المحقق ، اطلع على التقرير الذي كتبه كبير الدرك . وعن طريقه نقف على حقيقة شخصية الميت . فهو شهم شجاع اعتاد ان يتردد على مركز قطنا في اثناء تجواله لمراقبة المتطوعين ، وكان اخر عمل قام به هو اخراجه بعض المتطوعة بالقوة من خمارة « ابو جورج » . وجيء بالخمار ، فذكر اسماء بعض مرتادي خمارته ، وعن طريقهم حصر روادها وظهر ان جماعة من العاملين معه اغتالته . وعلى الرغم من ان محاكمة القتلة كانت تجري مجراها الصحيح ، فقد ظل برهان يقول لنفسه : لقد جاء هؤلاء ليظفروا بالشهادة في فلسطين او يسهموا في انقاذها ، فلماذا حرموا احدى الحسنيين ، ومن المسؤول عن تحولهم الى هذا المصير الحقير ؟

ولا نظفر بجواب ، لانه هو لم يجب وحسنا فعل . بل لعل الاحسن كان لو لم يلق السؤال اصلا ، اذن لاسترحنا من اثارة مشكلة التصريح بالهدف على هذا النحو من التحمس الاجوف .

يريد المجذوب ان يقول ان البطالة كالغربة تفسد النفوس ، وان تجميد « الوضع » على ما انتهت اليه الكارثة مع وجود الشباب المتطوع للمقاومة ينحرف بهمة هؤلاء الشباب ويجعل من شواغلهم متعهم الرخيصة فقط بدلا من الايمان بالمقاومة نفسها .

لن يتسع المكان ولا الوقت بعد ذلك للتدليل على خطأ هذه الطريقة في الكتابة القصصية ، فليس ما يقنع سوى المقايسة بالاعمال الناجحة وللمجذوب ان يقرأ ما يريد من اعمال السابقين الناجحين . الا ان قصته تظل بعد ذلك جديرة بالقراءة واعادة النظر فيها مرة بعد مرة ، لانها تثير قضية اخطر ما يتعرض له المقاومون .

***

ولا يبقى شيء ، اللهم الا « سيناء بلا حدود » للقاصة سميرة عزام. وكنت ارجو لو انني استطعت ان استشف شيئا ، ولكن فصلا من رواية او قل جزءا من فصل من رواية لا يمكن ان يسمن او يغني من جوع .

وانا اعرف سميرة عزام قصاصة مبدعة ، ولهذا اراني مضطرا الى الاستنتاج بان « سيناء بلا حدود » عمل سيجد فيه الف ناقد ما شاء لهم ان يجدوا من لمحات الفن الرصين . فلاترك الجزء الصغير في انتظار الكل الكبير ، وليكن ختامي بالعودة الى ما بدأت به عن ادب المقاومة فاقول اننا رأينا ـ بعد الرحلة التي قمنا بها مع قاصي الاداب ـ محاولات في بعضها خصوبة وفي بعضها الاخر تبشير بخصب واعد . وهذا في حد ذاته ان كان خيرا فلا يدل الا على اننا نعيش ادبا دون مستوى النكبة ، ومن يدري فقد يمضي هذا الجيل كله قبل ان نقرأ الاثر الذي يمكن ان يقال انه حقيقة في مستواها .

القاهرة — احمد كمال زكي

صدر اليوم عن دار النشر للجامعيين

كتاب الموسم العقائدي

الحركة العربية الواحدة

بقلم

عبد الله الريماوي

تحليل علمي ثوري للواقع العربي والمعركة العربية بمنطق وحدة الهدف العربي يبين المتناقضات والمصالح والقوى المتصارعة في المعركة العربية في مرحلة التحول الثوري العربي .

● يفضح الوجوه والواجهات الجديدة للتحالف الاستعماري الصهيوني الرجعي واحتكارات البترول .

● **يشرح الواقع الحزبي في الوطن العربي على صعيد العقيدة والنضال والتنظيم في ضوء النشوء والتكوين والمواقف والمسالك وبالنسبة للقضية والمعركة ومهماتها.**

● يؤكد ان الحركة العربية الواحدة هي الصيغة الايجابية الثورية الوحيدة لوحدة النضال الجماهيري العربي وانتصار الثورة العربية وانها التجسيد العقائدي العلمي الصادق لوحدة الامة العربية وقوميتها .

لوحدة الثورة العربية وهدفها

لوحدة العقيدة العربية ومنطقها

هي ميلاد ـ بالثورة ـ جديد ، وليست تجميعا بالالتقاء القديم القائم .

هي تخط تطلبه وتحدد معالمه الثورة والعقيدة والتجربة والجماهير :

للاحزاب والحركات والمنظمات القائمة في وجودها ومقوماتها وفي تعددها وفي منطقها النابع من ذلك الوجود والتعدد .